



في رحاب التوراة

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

دراسات وحوارات روحانية معمقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان سакс

نقدم إلى عائلة شيل بجزيل الشكر والعرفان على دعمهم السخي لكتاب "في رحاب التوراة" (Covenant and Conversation)، وهندي هذا الكتاب الذي الحاخام حاريم شيل من اللحظة الأولى لاطلاعه عليها، خاصة وأنه عمل جاهداً على ألّا تطرّق تعاليمه للحقائق السطحية فقط، بل تعمّق في علاقتها بالحقائق الموجودة وراءها، وبرقّة زوجته آنا، تلك المرأة الاستثنائية ذات الستينَ ربيعاً، فقد أنسس الحاخام حاريم حيّاً مُكرّساً لحبّ العائلة والمجتمع والتوراة، فكانا يَؤْجِنُ مُمْتَزِّينَ ومُمْتَازَيْنَ يُعْتَدَّ به بكل ما تحمله الكلمة من معنى، الأمر الذي كان له عمق الأثر على... - الحاخام جوناثان سакс

With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

"I have loved the Torah of R' Chaim Schimmel ever since I first encountered it. It strives to be not just about truth on the surface but also its connection to a deeper truth beneath. Together with Anna, his remarkable wife of 60 years, they built a life dedicated to love of family, community, and Torah.

An extraordinary couple who have moved me beyond measure by the example of their lives." — Rabbi Sacks

"كي تنسيه" هو النص الأسبوعي السادس من كتاب "دفاريم" (أي سفر التثنية) ويبدأ هذا النص الأسبوعي بالآية العاشرة من المقطع الحادي والعشرين وينتهي بالآية التاسعة عشرة من المقطع الخامس والعشرين.

حدود المحبة

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

في هذا النص الأسبوعي المليء بالقوانين والتشريعات تجد قانوناً في قمة الروعة، قانون ينص على ما يلي:

"إن كانت زوجتان لرجل واحد، إحداهما محبوبة والأخرى مكرهه (سنوهه بالعبرية)، فولدتتا له بنياً، المحبوبة والمكرهه، وكان الابن البكر للمكرهه منهنه. ففي يوم ينحل بنيه ما يكون له، فلا يجوز له أن يفضل ابن المحبوبة على البكر ابن المكرهه. بل يجب عليه أن يعرّف الناس بالبكر ابن المكرهه ليعطي له سهماً من جميع ما يوجد له، إذ هو أول نيله وله حكم البكورية". (تبعاً لما تذكر الآيات 15-17 من المقطع الحادي والعشرين من سفر التثنية).

إنه قانون في قمة المنطقية، فخلال عهد التناخ* كان الابن البكر في يسرائيل يعطى حصتين مما يرثه من والده،¹ وتبعاً لهذا القانون فإنه لا يحق للأب أن يتدخل وينقرر بإعطاء الامتياز الذي يحظى به الابن البكر لابن آخر من أبنائه. بمعنى آخر، لا يحق للأب أن يفضل ابناً على الآخر، خاصة حين يكون هذا الابن من الزوجة التي يحبّها أكثر من الزوجة الأخرى التي أنجبت له ابنه البكر.

والقوانين الثلاثة الأولى في هذا النص الأسبوعي، أي القانون المتعلق بالنساء اللواتي يتم سبّهن في الحروب والمعارك، والقانون الذي ذكرناه للتو والمتعلق بحقوق الابن البكر، وقانون الابن العاقد (أو الابن الزائل المخالف تبعاً لوصف التوراة) هي قوانين تتطرق لحالة الخلل والاضطراب داخل العائلة. وفي هذا السياق يوضح كبار الحاخامات بأن هذه القوانين وردت في التوراة بهذا الترتيب والتسلسل على وجه التحديد من باب التلميم إلى أن الرجل الذي يسيب امرأة سيعاني من حالة من الاضطراب داخل بيته، الأمر الذي سيؤدي إلى وجود ابن عاقد له.²

* ملاحظة توضيحية من المترجم: التناخ هي كلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نهيئيم، كتوفيم" (أي التوراة والأئبياء والكتابات)، وينقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعيا وسفر حزقيال، وسفر الأنبياء الثاني عشر الأوّل الآخر. وينضاف لها أسفار الكتابات، والتي تضم الهاغيوجرافيا، أي كتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضم أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أیوب، وسفر روث (راعوث)، وسفر نشيد الإنshaw، وسفر الجامعة، وسفر مرائي إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحميا، والجزء الأخير من التناخ يضم أسفار تدوين التاريخ. بالتالي يضم التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سفراً (كتاباً).

حدود المحبة

وتنظر الديانة اليهودية للزواج على أنه الركيزة الأساسية في بناء المجتمع، وأي خلل في الزواج سيؤدي إلى حدوث خللٍ في مناحٍ أخرى من حياة المرأة، وهذه حقيقة واضحة وضوح الشمس.

لكن ما هو استثنائي حول هذا الأمر هو أنه يتناقضُ بشكل واضح مع القصة التوراتية المتعلقة بيعقوف/يعقوب وزوجته ليئاه/لبياه وراحيل. في الحقيقة، فإن التوراة، وعبر اللغة التي تستخدمها، تربطُ بأسلوبٍ لغوياً لا يشوبه أي خطأ بين قانون الابن البِكْر وبين هذه القصة، حيث يذكر القانون هاتين الكلمتين المتناقضتين "أهْوَفَاه" بمعنى المحبوبة، و"سَنَوَاه" بمعنى المكرهة، وهاتان الكلمتان تحديدًا استخدمتهما التوراة للحديث عن قصة ليئاه وراحيل.

ولنستذكر السياق الذي وقعت فيه أحداث القصة، حيث فَرَّ يعقوف هارباً إلى خاله لَقَان، وهناك وقع في حُبِّ ابنته راحيل من أول نظرة، وعَمِلَ لدى والدها سبع سنواتٍ حتى يتمكَّن من الزواج بها. لكن في ليلة الزفاف قام والدها لَقَان باستبدال راحيل بابنة أخرى من بناته وهي ليئاه، حينها امتعضَ يعقوف قائلاً: "ماذَا صنعتِ بِي؟"، فردَ عليه لَقَان ساخراً: "لَا يُصْنَعُ كَذَا فِي بَلْدَنَا، أَنْ تُزَوِّجَ الصَّغِيرَةَ قَبْلَ الْكَبِيرَةِ" تبعاً لما تذكره الآيات الخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من المقطع التاسع والعشرين من سفر التكوانين.³ عندها وافقَ يعقوف على العمل سبع سنوات أخرى من أجل الزواج براحيل. وزفافه الثاني كان بالكاد بعد أسبوع من زواجه الأول، وهُنَا تُخَبِّرُنا الآية الثلاثون والحادية والثلاثون من نفس المقطع والسفر التالي:

"وَدَخَلَ (يعقوف) إِلَى رَاحِيلَ، وَأَحْبَبَهَا أَكْثَرَ مِنْ لَيَّاهَ... فَعِلِمَ اللَّهُ أَنَّ لَيَّاهَ مَكْرُوهَةً (سَنَوَاهَ)، فَرَزَقَهَا وَلَدًا، وَرَاحِيلُ عَاقِرٌ".

بالتالي رَزَقَ اللَّهُ لَيَّاهَ بِمَوْلَودٍ أَطْلَقَتْ عَلَيْهِ اسْمَ رَؤُوفَنْ/رُوبِنْ، لَكِنَّ الْأَلْمَ ظَلَّ يَعْتَصِرُ قَلْبَهَا لَأَنَّ يَعْقُوفَ لَمْ يَحْبِبْهَا بَقْدَرٍ مَا كَانَ يُحْبِبْ زَوْجَهُ الْأُخْرَى رَاحِيلَ. فَنَقَرَّا فِي الْآيَةِ الْثَالِثَةِ وَالثَالِثِينَ مِنْ نَفْسِ الْمَقْطَعِ وَنَفْسِ السَّفَرِ مَا يَلِي:

"وَحَمَلَتْ أَيْضًا، وَوَلَدَتْ ابْنًا. قَالَتْ إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ أَيْ مَكْرُوهَةً (سَنَوَاهَ) فَرَزَقَهِي هَذَا الطَّفَلُ أَيْضًا، فَأَسْمَتْهُ شِمَعُونَ/سَمِعَانَ".

ومن الملاحظ أن كلمة "سنواه" (بمعنى مكرهة) تظهرُ سَتَّ مراتٍ في التوراة: مرتين في الجزئية التي تطرقت للحديث عن ليئاه، وأربع مراتٍ في هذا النص الأسبوبي من نصوص التوراة في مستهل الحديث عن قانون حقوق الابن البِكْر. وهناك رابطٌ أقوى يربطُها بموضعين من آيات التوراة عندما تذكر رَؤُوفَنْ الابن البِكْر لِيَعْقُوفَ الَّذِي أَنْجَبَهُ مِنْ زَوْجَهُ لَيَّاهَ، أَوْلَاهُمَا الْآيَةَ السَّابِعَةَ عَشَرَ مِنْ الْمَقْطَعِ الْوَاحِدِ وَالْعَشِرِينَ مِنْ سَفَرِ التَّكَوِينِ "إِذْ هُوَ أَوْلُ نَيْلَهُ، لَهُ حُكْمُ الْبَكُورِيَّةِ". أَمَا الْمَوْضِعُ الثَّانِي فَهُوَ مَا تُخَبِّرُنَا بِهِ الْآيَةُ الْثَالِثَةُ مِنْ الْمَقْطَعِ التَّاسِعِ وَالْأَرْبَعِينَ مِنْ سَفَرِ التَّكَوِينِ: "يَا رَؤُوفَنْ أَنْتَ بِكْرٌ، وَقَوْقَى أَوْلُ نَيْلَيْ، مُفَضَّلٌ فِي الْشَّرْفِ وَمُفَضَّلٌ فِي الْعِزَّ".

ونظراً لهذا الاستخدام السَّيِّاديِّ واللغوي المتشابه في هذين الموضعين فإن من يقرأ القانون الموجود في هذا النص الأسبوبي بانتباهٍ سيجد أن هذا التشريع هو تفسير يتعلّق بقصة يعقوف في طريقة تصرفه مع ابنته لأن تصرّفه معهما يخالف تماماً ما نصّ عليه القانون المذكور في الآية الأولى. فقد قام بتغيير حَقَّ الْبَكُورَةَ وَمَنْحَهُ لَابْنِهِ يَوْسَفَ (ابن زوجته ليئاه) بدلاً من أن يمنحه لابنه رَؤُوفَنْ (ابن زوجته ليئاه) الذي يُعتبر ابنه البِكْر في الحقيقة. وهذا ما قاله لابنه يَوْسَفَ بحسب ما تذكر الآية الخامسة من المقطع الثامن والأربعين من سفر التكوانين:

"وَالآنَ ابْنَكَ الْمَوْلُودَنَ لَكَ فِي بَلْدَ مَصْرَ، إِلَى أَنَّ آتَيْ إِلَيْكَ إِلَى مَصْرٍ هُمَا يُنْسَبَانِ إِلَيْ، أَفْرَايِمُ وَمَنْشِيهُ، مُثْلُ رَؤُوفَنْ وَشِمَعُونَ".

لقد كان من المفروض أن يكون لرؤوفن حصتان من ميراث أبيه، لكن عوضاً عن هذا ذهبت الحصتان إلى الابن الآخر يوسف. كما نجد أن يعقوب قد اعترف بحقوق أبيه يوسف الاثنين من الميراث وبأنهما يستحقان ميراثهما كاملاً، وبالتالي أصبح لكل من أفراد ومنشيه قبيلة بحد ذاتها. بتصريح العبارة، يبدو أننا نشهد تناقضاً كبيراً بين ما يذكره سفر التكوانين وما يذكره سفر التثنية، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: كيف بإمكاننا حل هذه المعضلة وتفسير هذا التناقض؟

في الحقيقة، قد يكون المبدأ الحاخامي الذي يقول بأن الآباء الأوائل لليهودية قد عاشوا في ظلال التوراة وطبقوا تشريعاتها قبل أن تُمنَح لنبي إسرائيل هو مجرد مبدأ تقريري وليس بتلك الدرجة من الدقة، بمعنى أن القوانين والتشريعات قبل العهد مع الله عزّ وجلّ فوق قيمة جبل سيناء ليست جميعها ذات القوانين والتشريعات التي سبقت ذلك. وفي هذا السياق يذكر لنا الحاخام موشيه/موسى بن نحمان بأن قصة يهودة وتمار المتعلقة بزواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى⁴ فإنها مذكورة بطريقة تختلف قليلاً في سفر التثنية.

وبجميع الأحوال فإن هذا ليس هو التناقض الوحيد الذي نجده بين ما ذكر في سفر التكوانين والقوانين والتشريعات اللاحقة، وأحد أبرزها هو أن يعقوب قد ترجم بـشقيقتين، وهو أمرٌ محظوظ تماماً بحسب ما يذكر سفر اللاوبين في الآية الثامنة عشرة من المقطع الثامن عشر. وهُنا يبرر الحالُ لهذه المعضلة من وجهة نظر الحاخام موشيه بن نحمان، وهو حل مدخل ينسجم مع رؤيته المتميزة للعلاقة بين التشريعات اليهودية وأرض إسرائيل، إذ يرى بأن الآباء الأوائل لليهودية طبقوا قوانين التوراة فقط عندما كانوا موجودين فوق أرض إسرائيل نفسها،⁵ فيعقوب ترجم من ليثاه وشققتها راحيل خارج أرض إسرائيل، تحديداً في بيت لفان في منطقة حران (التي يعتقد أنها موجودة في تركيا في يومنا هذا).

وفي السياق ذاته يوضح الحاخام يتسحق بن يهوده أبيربنائيل تفسيراً مختلفاً تماماً لهذه المعضلة، مبيناً بأن يعقوب قد انتزع حق البكورة من ابنه رؤوفن لصالح ابنه الآخر يوسف لأن الله عزّ وجلّ هو الذي طلب منه القيام بذلك. وبالتالي فإن التشريع الذي ورد في سفر التثنية مذكور ليوضح بأن ما حدث مع يوسف كان الاستثناء، وليس الأصل. وهذا ما يوضحه تفسير الحاخام عُفاديا سفورو الذي يُبين بأن ما حرم سفر التثنية ينطبق في حالة أن الأب قام بانتزاع حق البكورة من ابنه البكر ومنحه لابنه الآخر فقط بسبب تفضيل الأب لزوجة على الأخرى، وبالتالي فإن هذا التحرير لا ينطبق على نقل البكورة من الابن البكر الذي يرتكب معصية تؤدي إلى إبطال حقه الشرعي في الحصول على حقوق البكورة. وهذا ما قدسه يعقوب حين قال وهو على فراش الموت مخاطباً ابنه رؤوفون: "والآن بنھلة من ماء لا تُفضل، إذ صعدت لمضجع أبيك، حينئذٍ مما بذلت فِراشي، تخلص" بحسب ما تذكر الآية الرابعة من المقطع التاسع والأربعين من سفر التكوانين. وهذا ما ذكر بمنتهى الوضوح في سفر أخبار الأيام الأول في الآية الأولى من المقطع الخامس: "ورُوفن... هو بِكْر إِسْرَائِيل (يعقوب)، ولأجل تدنيسه فِراش أَبِيه أُعْطِيَتْ بِكُورِيَتِه لِبَنِي يَوسُف بْنِ إِسْرَائِيل".

في الوقت نفسه هنالك تفسير من نوع آخر ويختلف كلياً عن التفسيرات السابقة. فما يجعل التوراة بهذا القدر من الندرة والتميز هو أنها كتاب تشريع (وهذا هو المعنى الأساسي لكلمة توراة) وكتاب تاريخ في الوقت نفسه. وفي كتب أخرى نجد هذين الموضوعين بعدين تماماً عن بعضهما. لكن يوجد في التوراة تشريع يجيء على السؤال الآتي: "ما هو المسموح لنا فعله وما هو المحظور علينا فعله؟". وهنالك تاريخ يجيء على هذا السؤال: "ما الذي حدث؟". وقد يبدو بأنه لا توجد أي علاقة واضحة بين الموضوعين على الإطلاق، لكن هذا لا ينطبق على اليهودية، فهي العديد من الحالات، خاصة في قوانين مشيّرات (القوانين المدنية)، فإننا نجد علاقة بين التشريع والتاريخ، أي بين ما حدث من جهة، والمسموح والمحظور من جهة أخرى.⁶ فعلى سبيل المثال نجد أن قدرًا كبيراً من التشريعات التوراتية قد ظهرت كنتيجة مباشرة لتجربة العبودية في أرض مصر، وكان هذه التشريعات تقول لنا: هكذا عانى أجدادنا في أرض مصر، لهذا لا تفعلوا الأمر ذاته، فلا تظلموا العامل ولا تتركوا يهودياً عبداً طيلة حياته، ولا تتركوا موظفيكم وخدمكم دون يوم عطلة أسبوعية ليتاحوا فيه، بالإضافة إلى غيرها من التشريعات.

في الوقت نفسه، لا يمكننا تعليم هذا الأمر على جميع تشريعات التوراة، لكن بإمكاننا القول بأن هذه التشريعات تمثل واقعاً يتمحض عن التجربة، وعَدلاً يتجسدُ من عبر دروس التاريخ. لهذا تأخذ التوراة من الماضي مرشدًا للمستقبل، هذه التجارب السابقة التي هي إيجابية في العادة لكنها لا تخلو من السلبيات أيضاً.

وفي هذا السياق يوضح لنا سفر التكوين – من بين أمور أخرى – بأن تفضيل يعقوف لزوجته راحيل على زوجته ليئاه، وتفضيله لابنها البكر يوسف على ابن ليئاه البكر رؤوفٌ كان نتيجة لحالة من التناحر الشديد والشُّرُّ العميق داخل العائلة الواحدة، هذا التناحر الذي كان على وشك أن يؤدي إلى قتل الإخوة لأخيهم يوسف، بل وقاد إلى قيامهم ببيعه كعبدٍ للإسماعيليين. وهُنا يوضح الحاخام ابن عزرا بأن هذه الأحداث بين أبناء العائلة الواحدة قد انتقلت لعدة أجيال من أبناء وأحفاد رؤوفٍ، كما أنها السبب الذي جعل داتان وأفيرام – اللذان ينحدران من نسل رؤوفٍ – من الشخصيات البارزة التي شاركت في محاولة التمرد التي قادها قورح.⁷

لقد قام يعقوف بما قام به تعبرًا عن محبته، حين كان مستغرقاً في محبته لراحيل وابنها البكر يوسف. والمحبة هي عاطفة مركبة في اليهودية: إنها تفوق محبة الزوجة والزوج لبعضهما البعض، ومحبة الأب والابن لبعضهما البعض، لتصل إلى حدود محبة الله عزوجل ومحبة الجار والغريب أيضاً. لكن المحبة وحدها لا تكفي، فلا بد من وجود العدالة وتطبيق القانون دون الكيل بمكيالين لكي يشعر الناس بأن القانون مُنصفٌ، كما لا يمكننا بناء المجتمعات بالمحبة وحدها، لأن المحبة تجمع الناس وتفرقهم في الآخر نفسه، فهي تجعل الذين يحظون بمحبة أقل من غيرهم يشعرون وكأنهم مهملون متواهلون منبودون، بل وتجعلهم يشعرون بأنهم "مكرهون"، الأمر الذي يترك خلفه حالة من الفتنة والنزاع والحسد ويخلق دوامة من العنف والانتقام.

وهذا ما تُخبرنا به التوراة عندما تخلق رأيضاً معنوياً بين هذا النص الأسبوعي من جهة، وقصة يعقوف وأبنائه المذكورة في سفر التكوين من جهة أخرى. إنها تعلمنا بأن القانون ليس أمراً عشوائياً لأنه متجرد في تجاربنا التاريخية، والقانون بحد ذاته هو شكلٌ من أشكال "تبيّن" (أي الإصلاح) لأنه طريقة لتصحيح الأخطاء التي ارتكبت في الماضي. وبالتالي يجب علينا أن نتعلم كيف نُحيي، لكن في الوقت نفسه ينبغي علينا أن نعلم حدود هذه المحبة وأهمية العدل كشكل من أشكال الإنصاف في العائلة والمجتمع.

1. هذا موضع ضمنياً في قصة يعقوف وابنه رؤوفٍ ويوسف. ويوضح كبار الحاخامات بأنهم استنتجوها من قصة بنات صفحاد (أنظر: تفاسيرهم للأية السابعة من المقطع السابع والعشرين من سفر العدد - Bava Batra 118b)

2. المصدر: Sanhedrin 107a

3. هذه نتيجة لقيام يعقوف بشراء حق البكورة من أخيه عيسَى.

4. المصدر: الحاخام موشيه بن تمحمان في مستهل تفسيره للأية الثامنة من المقطع الثامن والثلاثين من سفر التكوين.

* ملاحظة توضيحية من المترجم: بالإمكان الرجوع إلى نفس المصدر لفهم التشريع اليهودي "يوم" والذي يتعلق بزواج الأخ من أرملة أخيه المتوفى الذي لم يكن له أبناء ذكور. حيث يجب على الأخ أن يتزوج بأرملة أخيه وأن يُسمى المولود الأول الذكر لهما باسم الشقيق المتوفى لكي لا ينقطع اسمه من الدنيا عقب وفاته.

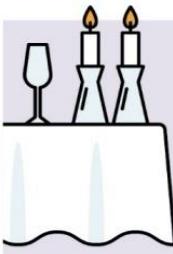
5. المصدر: الحاخام موشيه بن تمحمان في مستهل تفسيره للأية الخامسة من المقطع السادس والعشرين من سفر التكوين.

6. المصدر:

This is the subject of a famous essay by Robert Cover, "Nomos and Narrative," *Harvard Law Review* 1983–1984, available at http://digitalcommons.law.yale.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=3690&context=fss_papers. Cover's view was that "no set of legal institutions or prescriptions exists apart from the narratives that locate it and give it meaning. For every constitution there is an epic, for each decalogue a scripture."

تشكل هذه النقطة موضوع مقالة مهمة للأستاذ روبرت كوفر "القانون والرواية". كان كوفر يرى بأنه "لا توجد أية مؤسسات قانونية أو تشريعات تتواجد بمنأى عن الروايات التي تمنحها معنى، فلكل دستور هنالك ملحمة، وكل مجموعة من الوصايا هنالك نصّ ديني."

7. المصدر: الحاخام ابن عزرا في مستهل تفسيره للأية الأولى من المقطع السادس عشر من سفر العدد. Ibn Ezra on Numbers 16:1.



حَوْلَ مَايِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأْمُلِ

- 1- ما هي الدروس والعبر التي يمكننا تعلّمها من قصّة يعقوف وعائلته؟
- 2- هل يمكنك استحضار موقف قام فيه شخص ما باتخاذ قرار خطأ بسبب محبته لشخص آخر؟
- 3- لماذا لا تعتبر المحبة وحدها كافية لأي مجتمع؟ وما هي القيم الأخرى التي تحتاجها بالإضافة إلى المحبة؟

- These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/ki-teitse/the-limits-of-love/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*



[RABBISACKS.ORG](https://www.rabbisacks.org)